فهرسة المخطوطات : تجربة الخزانة الحسنية بالرباط

د.خالد بوهند
جامعة سيدي بلعباس

لقد مكنتنا الزيارة التي قمنا بها إلى المغرب الأقصى ، في إطار التربص العلمي قصير المدى ، من معاينة عدة مراكز علمية ، بدء بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط ، مرورا بالخزانة الحسنية بالرباط ، ووصولا عند مؤسسة علال الفاسي بنفس المدينة ، وكل واحدة من هذه المؤسسات تزخر بكم متفاوت من المخطوطات في شتى الفنون والعلوم ، وبما أن موضوع بحثنا هو : "فهرسة المخطوطات : تجربة الخزانة الحسنية بالرباط" ، فإن مادته العلمية ، ستُستمد أساسا مما جلبناه معنا من كتب تخص الموضوع ، أهديت لنا مجانا من قبل مدير الخزانة الحسنية مشكورا على ذلك .

تعتبر الخزانة الحسنية أو الخزانة الملكية ، من أهم الخزانات بالمغرب على الإطلاق ومن أغنى المكتبات الخاصة في الغرب الإسلامي ، حيث تتوفر على ذخيرة هامة من المخطوطات النفيسة والنادرة التي تقدر بما يفوق 14 ألف مخطوط أو مجلد ، أي ما يناهز 30 ألف عنوان و40 ألف مطبوع في مختلف المعارف والعلوم وبمختلف اللغات ، هذا إضافة إلى 150 ألف وثيقة موجودة حاليا بمديرية الوثائق الملكية. ويلجأ إلى هذه الخزانة العديد من الباحثين المختصين من المغرب ومن مختلف البلدان العربية والأوروبية للاستفادة بالأساس من مخطوطاتها المهمة والنادرة. وتشغل هذه الخزانة ، التي تقع في "المشور" بالقصر الملكي بالرباط، مساحة مهمة، حيث تتوزع إلى ثلاثة أقسام: قسم خاص بالمطالعة، وقسم خاص بالوثائق وقسم آخر خاص بالمخطوطات والكتب ، توجد جميعها داخل القصر الملكي تحت حراسة مشددة[1] ، كما يبذل القائمون على المكتبة ، جهودا لرقمنة المخطوطات ، حتى تُسهل على الباحثين الوافدين الى المكتبة من الحصول على مبتغاهم بأسرع وقت ممكن[2]

إن بحثنا هذا سيرتكز على ثلاثة عناصر أساسية ، نتناول في العنصر الأول نبذة تاريخية مقتضبة عن نشأة المكتبة المغربية ، التي تتصل في الأساس بالأُسر الملكية المتعاقبة في حكم المغرب منذ العهد الإدريسي وإلى غاية حكم الأسرة العلوية بالمغرب ، وفي العنصر الثاني سنعرج على التجربة التي مر بها المغرب في فهرسة مخطوطات الخزانة الحسنية منذ 1964 وهو تاريخ أول محاولة قام بها الباحث "محمد الفاسي" وإلى يومنا هذا ، وفي العنصر الثالث ، وبناء على المراجع التي أهديت لنا (30 مرجع ، 17 منها حول الفهرسة)، سنقوم بمحاولة جرد أهم المخطوطات ذات الصلة بالمغرب الأوسط(الجزائر) ، أي المخطوطات التي ألفت من قبل علماء وكتاب جزائريين ، حتى تحفز الباحثين ولمن يهمهم الأمر لزيارة المغرب ، قصد الاطلاع عليها دون عناء ، لننهي مداخلتنا بخاتمة نرصد فيها استنتاجات وتوصيات قد تساهم في ترقية البحث العلمي في هذا المجال.

2-نشأة المكتبة المغربية :

قبل الشروع في معالجة موضوع تجربة الخزانة الحسنية المغربية في فهرسة مخطوطاتها ، ارتأينا أنه من الأمور المنهجية ، إعطاء نبذة تاريخية وجيزة عن نشأة المكتبة المغربية بشكل عام وأطوارها ، الذي كان في أواخر العهد الإدريسي الأول ، بفضل ملكها يحي الرابع بن إدريس(المتوفى سنة 332هـ/ 943م) المشهور بالتبحر في العلم والمشاركة في فنونه ، إضافة إلى وجود أعلام نشئوا في المغرب ، كما وفد إلى هذا البلد عدد غير قليل من رجالات العلم وأساطين الأدب ، قادمين من الأندلس والقيروان ، أضف إلى هذا وذاك أن الدولة الإدريسية قامت على منافسة الدولة العباسية في المشرق ، والدولة الرستمية المجاورة بالمغرب الأوسط .

ولكن وقوع الدولة الإدريسية في قبضة العبيديين (الفاطميين) ، ثم دولة آل أبي العافية ، والدولة الثانية للأدارسة ، تتلوهما دولة زناتة من مغراوة وبني يفرن ، حيث صار المغرب الأقصى ميدانا فسيحا للعراك بين العبيديين والأمويين من ناحية ، ثم بين المغراويين واليفرنيين من ناحية أخرى . فكان هذا العراك الطويل الأمد حائلا دون أن تتقدم المكتبة المغربية خلال تلك المدة .

بعد ذلك تشكلت دولة المرابطين ، التي وحدت كلمة المغرب ، وقضت على ملوك الطوائف بالأندلس ، فكان نصيب المكتبة المغربية من هذه النهضة الجديدة أنها بدأت تدخل في طور ازدهارها ، وأخذت تَعمر وتُعمر بكتب المذهب المالكي ، فأسس ملوك المرابطين خزائنهم بما صار إليهم من ذخائر ملوك الطوائف ، وبما اقتنوه بالمغرب وغير المغرب من كتب العلم والدين ، وتنافسوا في ذلك . ومما امتازت به المكتبة المغربية في هذا العصر ندور كتب الفلسفة والحكمة فيها ، لما عرف من تباعد ملوك الدولة عن تلك العلوم ، حتى أنهم أحرقوا كتاب "الإحياء" للإمام "الغزالي" . ثم جاءت دولة الموحدين تتلوها دولة بني مرين ، وفي عهديهما ، ازدهرت المكتبة المغربية . ومما امتاز به العصر الموحدي أنه فيه نشأت المكاتب العمومية والخاصة على حد سواء ، كما خلت الخزائن من كل كتاب يرجع للفقه المالكي ، حيث أن الموحدين حملوا الناس على ترك كتب الفروع ، وحرقوا كتبها .

امتاز العصر المريني الأول بكثرة ما أوقف ملوكه من كتب ومكاتب ، أما في أواخر هذا العصر ، وأيام الدولتين الوطاسية والسعدية ، فان المكتبة المغربية نالها حظها من المحن التي نزلت بالمغرب ، جراء احتلال البرتغال والأسبان للكثير من شواطئ المغرب ، فطال الكتب النهب والحرق وتم إتلاف الكثير منها . ورغم قيام العلويين بتطهير شواطئ المغرب من الغزاة الأجانب ، فإن المكتبة المغربية تزايد نقصها وضاع منها ما لا يحصى من أنفس الكتب ، ثم انتقل النهب الى أوروبا ، فهبت أغلب دولها لإقتناء نفائس وذخائر الخزانة المغربية ، كان من نتائجها أن امتلأت الأولى بينما أفقرت الخزائن المغربية . أما العهد العلوي فقد امتاز بكثرة ما جلب فيه من كتب الحديث من الشرق ، وفي هذا العهد ظهرت المطبعة الحديثة ، كما دخلت تنظيمات حديثة وبرامج عصرية ، مما ساعد الخزائن المغربية على التطور شيئا فشيئا ، وجعلها تحاكي في الجملة تقدم المكاتب في البلاد الراقية [3] .

3-تجربة الخزانة الحسنية في فهرسة المخطوط العربي :

إن الخزانة الملكية التي تعد أول مؤسسة تفصح عنها كتب التاريخ والحضارة قد عملت عبر التاريخ على نسخ المخطوطات واستنساخها وترجمتها إلى اللغة العربية ، فتجمع لديها ذلك الرصيد الهائل من الكتب ، وإذا كانت الخزانة الملكية خزانة خاصة ، فإن الوضع الذي تتميز به من حيث محتوياتها وغناها واقتناؤها لنفائس المخطوطات ونوادرها ، ودورها العلمي

الكبير الذي أناطت به نفسها منذ ظهور الملكية في المغرب جعلها تتبوأ مكانة تميزها عن المكتبات الخاصة التي تميزت بها البيوت المغربية منذ القدم . إن أول محاولة وضعت لترتيب مخطوطات الخزانة الملكية وفهرستها ، جاءت على يد العلامة "محمد الفاسي" ، من خلال البحث الذي نشره سنة 1964 بمجلة البحث العلمي بعنوان : "الخزانة السلطانية وبعض نفائسها" . فبعد مقدمة موجزة عن تاريخ المكتبات المغربية عموما ، والمكتبات الملكية خصوصا ، أشار المؤلف إلى الدور الرئيسي الذي لعبته هذه المؤسسات في حفظ التراث مع عرض لعدد من نوادر الخزانة ، محيلا على "كارل بروكلمان" و"ليفي بروفنسال" و"حاجي خليفة" .

وقد كان الترتيب الذي وضعه "محمد الفاسي" لهذه الخزانة على الشكل التالي : وصف بعض النوادر والنفائس ، السيرة النبوية ، الجغرافية ، الرحلات ، الأنساب ، تاريخ المغرب العربي ، التراجم ، القرآن الكريم ، القراءات ، التجويد ، علوم القرآن ، التفسير ، الطب ، علم الفلك ، الفقه ، اللغة ، النحو والصرف ، العلوم الطبيعة ، الموسيقى . وقد نشر "محمد الفاسي" عددا من المقالات في نفس المجلة وصف خلالها هذه المخطوطات ، ورتبها حسب الفنون المشار إليها [4]. وتلا هذه الأبحاث كتاب "محمد المنوني" بعنوان : "منتخبات من نوادر المخطوطات" ، نشر عام 1978 بتقديم مدير الخزانة عبد الرحمن الفاسي[5] . وحسب التقديم الذي حرره "أحمد شوقي بنبين" مدير الخزانة الحسنية لنفس الكتاب المذكور (طبعة 2004)، أن القصد من مصطلح النوادر ، تلك النسخ الخزائنية الموشاة بأنواع الزخارف والمنسوخة بجيد الأقلام برسم خزانة ملكية أو ما يماثلها ، كما يعنى بها النُسخ الفريدة لمؤلف معين كطوق الحمامة لابن حزم وكتاب البرصان والعرجان للجاحظ وغيرها[6] .

لقد اختار الفقيه "المنوني" من نوادر المكتبة بعض مؤلفات الملوك والسلاطين ، وما كتبه الأندلسيون والسودانيون والمشارقة ، وما كُتب بالخط الكوفي ، وقد ذكر بعض المخطوطات التي لها قيمة باليوغرافية[7] مع عرض موجز لمحتوى المخطوط . وتشكل الكتب المختارة الفنون التالية : المصاحف ، القراءات ، التفسير ، الحديث ، السيرة ، الفقه وملحقاته ، الكلام ، اللغة والنحو ، الأدب ، التاريخ ، الأنساب ، التراجم ، الجغرافية والرحلات ، السياسة ، الرياضيات ، الطبيعيات ، الفلاحة ، الكيمياء ، الفلك والتنجيم ، الطب ، الموسيقى ، علوم متنوعة . واستهل "المنوني" هذا الكشاف بمقدمة تناول فيها مجموعة من الوثائق ، وهي عبارة عن بيعات سلطانية وظهائر ملكية أصلية ومكاتبات ورسائل وتقاييد ، ثم تناول الحديث عن الوثائق التي توجد في الكنانيش[8].

وقبل هذا العمل المتعلق بالمنتخبات كان الفقيه "المنوني" قد شرع في وضع فهرس شامل لمخطوطات الخزانة الحسنية حسب أرقامها على الرفوف ، عالج فيه 438 مخطوطا . بعد مقدمة عن المكتبات الملكية بالمغرب بدأ "المنوني" فهرسه الطبوغرافي للمكتبة الحسنية ، حيث يذكر عنوان الكتاب ، ورقمه ، واسم المؤلف ، وعدد أوراقه وشكله ، ووصف الخط ، واسم الناسخ–اذا وجد–ثم تاريخ النسخ ، ويشير أحيانا إلى كتب التراجم التي ترجمت للمؤلف ، والفهارس والكتب الببليوغرافية التي ذكر فيها الكتاب ، وكذلك إلى بعض الخزائن المغربية التي توجد فيها نسخة من المخطوطات ، كالمكتبة العامة

وخزانة القرويين . لم تحتوي الفهرسة على مسارد أو كشافات لأن صاحبه لم يتمّه ، وآخر كتاب ذكره "شرح الرسالة السمرقندية في آداب البحث" [9].

وفي سنة 1980 نشر "محمد بن عبد الله عنان" ، أول فهرسة للمخطوطات التاريخية المحفوظة بالخزانة الحسنية [10]. بعد مقدمة تعرض فيها إلى حرص ملوك الغرب على جمع نفائس الكتب ونوادرها ، أشار إلى أن عدد كتب التاريخ بلغ ألف مخطوط وأنها تعالج الموضوعات التالية : التاريخ العام ، تاريخ الشرق العربي ، تاريخ المغرب العربي ، السيرة والأنساب ، التراجم والمناقب ، الرحلات ، وأخيرا مجموعة الوثائق ، وهي عبارة عن رسائل سلطانية وإجازة العلماء وظهائر ملكية . ويضم هذا الفهرس كذلك ما وجد من مؤلفات تاريخية ضمن ما يسمى بالمجاميع[11] . وقد عرف المؤلف هذه المخطوطات ، وذلك بوصفها وذكر وفاة مؤلفيها واستعراض محتوياتها ، وذكر ما يمكن ذكره من نظائرها الموجودة في المكتبات الأخرى مع إحالتها على مظانها في معاجم الفهارس العلمية ، مثل بروكلمان ، والغزيري(الاسكوريال) ، والمتحف البريطاني ، والفاتيكان وغيرها ، ثم يختم بذكر تاريخ ومكان النشر ، هذا إن كان الكتاب قد نشر . وقد سلك المُفهرس في الترتيب الفهرسي لأسماء الكتب على حروف المعجم الطريقة المغربية التي تقدم الكاف واللام والنون على الصاد والضاد والعين والسين والشين ، جريا على ما سار عليه الكتاب المغاربة منذ القديم في تصنيف فهارسهم الأبجدية[12] .

وفي سنة 1982 بدأت الخزانة الحسنية بإشراف محافظها آنذاك "محمد العربي الخطابي" بنشر فهارس الطب والصيدلة والبيطرة والحيوان والنبات . بعد مقدمة تاريخية على غرار مقدمة المجلد الأول تعرض المُفهرس للحديث عن العلوم عند المسلمين ، ثم ذكر السبب الذي دعاه إلى تناول مخطوطاتها بالفهرسة ، وهو حسب ما جاء في المقدمة تلبية لرغبة أكاديمية المملكة المغربية ومقررات مؤتمر الطب الإسلامي الذي انعقد في الكويت شهر يناير 1981 ، وأوصى بتشجيع دراسة الطب الاسلامي ، ونشر كتبه ، وإنشاء منظمة إسلامية تُعنى بإحياء العلوم الطبية الإسلامية في مجال التراث والبحث العلمي.

ضم الفهرس 288 كتابا ، يمكن حصرها في ثلاثة مواضيع : كتب الطب والصيدلة والأغذية وحفظ الصحة ، وأراجيز[13] ومنظومات في الطب والصيدلة ، والبيطرة والحيوان والنبات . وفيما يخص وصف المخطوط فقد سلك المُفهرس الطريقة الشرقية في ترتيب الحروف ، فيذكر اسم المؤلف ، وعنوان الكتاب ، وكل ما يدخل في ما يسمى بالعنوان الببليوغرافي ، ثم يذكر بداية ونهاية المخطوط على غرار كشف الظنون لحاجي خليفة ، ثم الزخرفة والتسفير[14] ، واسم الناسخ وتاريخ النسخ إن ذكر ، ثم المسطرة والقياس وعدد الأجزاء . وختم الفهرس بأربعة كشافات :

-كشاف عناوين المؤلفات .

-كشاف الأراجيز .

-كشاف أسماء المؤلفين .

-كشاف الناسخين .

كلها مرتبة ترتيبا "ألفبائيا" . ويمكن اعتبار هذا الفهرس كتابا في تاريخ الطب ، لأن الخزانة الملكية تضم عددا من النصوص الطبية نقلت في العصر الوسيط من العربية إلى اللاتينية والعبرية ، ودُرست في جامعات أوروبا ، مثل مونبوليي بفرنسا ، وأُكسفورد بانجلترا ، وليدن بهولندا[15] .

وفي سنة 1983 ظهر المجلد الثالث من فهارس الخزانة الحسنية ، وهو الفهرس الوصفي لمخطوطات الرياضيات والفلك وأحكام النجوم والجغرافيا[16] .أما المجلد الرابع من فهارس الخزانة الحسنية بالقصر الملكي (بالرباط) ، فقد خص به المُفهرس مخطوطات المنطق وآداب البحث ، والموسيقى ، ونظم الدولة والفنون الحربية وجوامع العلوم[17].وقد خص المجلد الخامس من فهارس الخزانة الحسنية بمخطوطات الكيمياء وتعبير الرؤيا والعلوم الخفية[18] واعتبره آخر فهرس للعلوم العقلية المحفوظة مخطوطاتها بالخزانة . وقد وصف فيه 567 مجلدا ، فيها العديد من النوادر التي يعز نظيرها ، وكذلك ما تم استخراجه من المجاميع .وآخر فهرس يخرجه "العربي الخطابي" ، هو ذلك الذي فهرس فيه مخطوطات علوم القرآن[19] ، والذي كان يريد له أن يكون القسم الأول من فهارس العلوم الشرعية ، وقد قسمه إلى ثلاثة أقسام :

-التجويد والقراءات والرسم القرآني.

-التفسير .

-مباحث خاصة أو عامة شاملة لعلوم القرآن (الأحكام ، الإعراب ، شرح الغريب،آداب حمل القرآن ،أسباب النزول،الناسخ والمنسوخ،خواص القرآن...)[20] .

في سنة 2000 ، صدر فهرس التاريخ في مجلدين ، ثم فهرس مخطوطات الأدب في جزأين سنة 2001 من إعداد "محمد سعيد حنشي" وعبد العالي لمدبر" بإشراف ومراجعة وتقديم "احمد شوقي بنبين"[21] .ضم الفهرس الأخير أكثر من 500 مخطوط[22] . كما نشرت في عام 2003 فهرس مخطوطات البلاغة والعروض من انجاز الباحثين المذكورين وإشراف وتقديم مدير الخزانة[23] . وفي نفس السنة نشرت الخزانة الملكية فهرس مخطوطات اللغة العربية[24] الذي ضم حوالي 250 مخطوطا[25] ، وفهرسا لمخطوطات النحو والصرف ، الذي اشتمل على ما يزيد عن 1000 مخطوط ، كلها من إعداد الباحثين "خالد زهري" و"مصطفى طوبي" بإشراف ومراجعة وتقديم "أحمد شوقي بنبين" مدير الخزانة[26] .

استمرت مجهودات القائمين على الخزانة الملكية ، في عملية فهرسة المخطوطات المتبقية ، حيث تم اصدار فهرس مخطوطات التصوف بجزأين سنة 2010 [27] ، تلى ذلك إصدار فهرس للكتب المخطوطة في السيرة النبوية من إنجاز "محمد سعيد حنشي" و"عبد العالي لمدبر"[28] ، ثم صدر فهرس مخطوطات الحكمة والمنطق وآداب البحث والمناظرة والوضع ، سنة 2011 ، من تأليف خالد زهري و"عبد المجيد بوكاري" [29] .

أما ما يخص الوثائق بها في ذلك الكنانيش[30] ، فقد نشرت الخزانة الحسنية فهرسين ، خص المجلد الأول منها بالكنانيش (أي السجلات الرسمية) ، وإهتم الثاني بالمراسلات الملكية وغيرها ، وقد وضعهما موظفون بالمكتبة الملكية تحت إشراف مديرها آنذاك[31] .

4-المخطوطات الجزائرية الواردة في فهارس الخزانة الحسنية :

هناك عديد من المخطوطات في مختلف العلوم والفنون لكتاب ينحدرون من المغرب الأوسط(الجزائر) ، محفوظة في الخزانة الحسنية بالرباط ، تم الكشف عن بعض منها في فهارس خاصة ، كنا قد تناولناها بالدراسة في العنصر السابق ، وإليكم بعض منها حسب الاختصاص :

4-1-في مجال التاريخ والسياسة :

حسب فهرس التاريخ بجزأيه الأول والثاني ، ورد مخطوط بعنوان : "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض" لمؤلفه "أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني" (ت.1041هـ/ 1631م) ، نسخة تامة في جزأين ، يقع المخطوط تحت رقم 784 ، وهو مُؤلَف جامع خصصه "المقري" لترجمة حافظ المغرب ، الفقيه عياض[32]، وكتابه :"الروض المعطار وكتاب الأنوار في نسب آل النبي المختار" ، الذي يقع بدوره تحت رقم 11328 ، وهو كتاب يبدأ من أصل الخليقة لينتهي عند تاريخ بني زيان وبني حفص وبني مرين [33] ، وكتابه "روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس" ، الذي يقع تحت رقم 220 ، هو عبارة عن سجل حافل لمن لقيهم "المقري" من أكابر علماء عصره وأدبائه في مراكش وفاس[34] ، و"زهرة الأخبار في كنز الأسرار ومعدن الأنوار في تعريف نسب آل بيت النبي المختار" ، الذي يقع تحت رقم 1220/ مجموع ، وهو مختصر من كتاب المقدمة لابن خلدون الحضرمي[35] ، وكتابه "كنز الأسرار ومعدن الأنوار في آل بيت النبي المختار" ، الذي يقع تحت رقم 6637 [36].

ومخطوط بعنوان : "أنس الفقير وعز الحقير" لمؤلفه "أبي العباس أحمد بن حسين بن الخطيب القسنطيني" المعروف بـ"ابن قنفذ" (ت.810هـ/ 1407م) ، يقع تحت رقم 2990 ، وهو عبارة عن تقييد عن العلامة الزاهد شعيب بن حسين الأنصاري الأندلسي ، المعروف بأبي مدين[37] ، ومخطوط بعنوان : "تقييد من وفيات ابن قنفذ" لنفس المؤلف السالف الذكر ، يقع تحت رقم 13309/ مجموع ، جمع فيه "ابن قنفذ" وفاة النبي(ص) وبعض الصحابة والصحابيات (ض) [38] ، ومخطوط آخر بعنوان : "شرف الطالب في أسنى المطالب" ، الذي يقع تحت رقم 11899/ مجموعII ، يبدأ الكتاب بتناول تاريخ الصحابة والعلماء والمحدثين والمؤلفين لينتهي بمعالجة مسائل مختلفة [39].

ومخطوط "تنبيه ذوي الألباب ليحذروا من تدليس عمر لوكس الكذاب" لـ"محمد بن عبد العزيز الموفق الثعالبي الجزائري" (كان حيا في القرن 12هـ) ، يقع تحت رقم 5348 ، وهو عبارة عن قصة من دعي عمر لوكس الذي كان واليا لتطوان ، وحاول أن يدعو لنفسه بها وبأحوازها ، فعزله السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل [40] ، ومخطوط :"النفحات القدسية" لأبي علي الحسن بن أبي القاسم بن حسن بن باديس القسنطيني (ت.787هـ/ 995م) ، يقع تحت رقم 12241/ مجموعII ، والمخطوط منظومة

في مدح مدينة بغداد وأوليائها وعلمائها [41] ، وله كتاب آخر بعنوان :"مختصر الروض الناضر في مناقب الشيخ سيدي عبد القادر" ، الذي يقع تحت رقم 5308 [42] ، و"فهرسة العنابي" **لمؤلفه "مصطفى بن رمضان العنابي البوني الجزائري"** (ت.**1130**هـ) ، **يقع المخطوط تحت رقم 11447 مجموع** [43] ، ومخطوط : "المواهب القدوسية في المناقب السنوسية" لمؤلفه "أبي عبد الله محمد بن عمر بن إبراهيم التلمساني الملالي"(ت.بعد 897هـ/ 1492م) ، الكتاب يقع تحت رقم 9447/ مجموع ، وهو عبارة عن ترجمة مفصلة وافية ، كتبها المؤلف لشيخه عالم تلمسان ومنشئ معالم الطريقة السنوسية "أبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني" [44] ، و"النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب" ألفه : "محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن صعد الأنصاري التلمساني" (ت.901هـ/ 1461م) ، يقع الكتاب تحت رقم 2491 ، وهو عبارة عن معجم في تراجم الأولياء [45] ، ونفاضة الجراب في علالة الاغتراب" لمؤلفه "لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب التلمساني" (ت.776هـ/ 1374م) ، يقع تحت رقم 11011 ، وهو عبارة عن مذكرات "ابن الخطيب" الشخصية [46] ، و"واسطة السلوك في سياسة الملوك" لمؤلفه "أبي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحي بن زيان العبد الوادي" (ت.791هـ/ 1289م) ، يقع المخطوط تحت رقم 2535 ، وقد وضع المؤلف كتابه لترشيد ولده وولي عهده "تاشفين" [47].

4-2-في مجال الحكمة والمنطق وآداب العلم والتعلم :

على غرار مجال التاريخ ، زخرت الخزانة الملكية بالرباط ، بنفائس المخطوطات في مجالات أخرى كالمنطق والحكمة وآداب البحث ، حيث ورد :"تقييد على السلم المرونق للأخضري" ، لمؤلفه "سعيد بن إبراهيم قدورة" ، يقع تحت رقم 868/ مجموع ، وهو كتاب في علم المنطق [48] ، وكتاب : "ربيع الأذهان في تحصيل علم الميزان" لشارحه "أبي عبد الله محمد بن خليفة الجزائري" ، يقع تحت رقم 12265ز/ مجموع ، وهو شرح لأرجوزة السلّم المرونق في علم المنطق للأخضري[49] ، وكتاب : "نهاية الأمل في شرح كتاب الجُمل للخُونجي" لشارحه "أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني" (ت.842هـ/ 1438م) ، يقع الكتاب تحت رقم 1075[50] ، وكتاب : "جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان" ، لمؤلفه "أحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني" (ت.929هـ/ 1522م) ، يقع الكتاب تحت رقم 1541/ مجموع ، ويتناول موضوعه أحكام المعلمين والمتعلمين وآدابهم وحقوق بعضهم على بعض وأمر الخدمة وأجرة الشهور والأعوام الخ...[51] ، و"رسالة في العمل بالكرة" لمؤلفه "عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش" (ت.1195هـ/ 1780م) ، يقع تحت رقم 1573/ مجموع ، وهو عبارة عن رسالة في علم الفلك[52] .

وكتاب : "إتحاف السالك بإنارة الحالك" للشيخ "أبي زكريا يحي بن محمد الشاوي المليانى الجزائري" (ت.1096هـ/ 1685م) ، يقع تحت رقم 12265 ، وهو كتاب عن المنطق [53] ، والكتاب الأصلي : "السلم المرونق في علم المنطق" لمؤلفه "أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير الأخضري الجزائري" (ت.953هـ/ 1546م) ، يقع تحت رقم 1635 [54].

وهو مصنف عن المنطق الذي أخذ عنه "سعيد قدورة" السالف الذكر، و"منظومة في حكم الاشتغال بالمنطق" لمؤلفه "أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني" (ت.909هـ/ 1503م) ، يقع الكتاب تحت رقم 5351 [55] .

لقد حاولنا أن ننقل بكل أمانة وإخلاص ، ما عايناه أثناء زيارتنا الأخيرة إلى المملكة المغربية ، وما حصلنا عليه من مراجع ، تكرم القائمون على الخزانة الحسنية بمنحها إيانا مجانا ، عانينا مشقة نقلها إلى الجزائر ، كل هذا خدمة للعلم وللبحث العلمي ، ونعتقد من خلال هذا البحث أننا ساهمنا في عرض تجربة المغرب الشقيق في مجال جمع المخطوطات وتصنيفها وفهرستها ، وهي تجربة لا شك أنها ستضاف إلى التجارب الجزائرية في هذا المجال ، الذي نحسبه ما يزال بحاجة إلى المزيد من الجهود للحاق بركاب دور المخطوطات العالمية .

إن هذا لا يعني اطلاقا تفوق هذا على ذاك ، فكل من المغرب والجزائر ، بحاجة إلى تنسيق ، وإلى تضافر الجهود ، ليس فقط في مجال الفهرسة فحسب وإنما أيضا في مجالات أخرى تتعلق في الأساس بالمخطوط ، وعليه نقترح ما يلي :

-بما أن كلا البلدين يجمعهما التاريخ الاسلامي المشترك (المرابطين مرورا بالموحدين ثم المرينيين والزيانيين والحفصيين)، وتضررا من عامل الغزو الأوروبي ، الذي أدى إلى نهب وإتلاف المخطوطات ، فإنه لا بديل عن التعاون المشترك لإعادة استرجاع ما يمكن استرجاعه من مخطوطات مفقودة ، وهذا عبر تبادل المخطوطات أو نسخها واستنساخها كمرحلة أولى ، فقد ورد في الفهارس التي اطلعنا عليها ، أن الخزانة الحسنية تحتفظ بنسخ عدة لعنوان واحد ، وقد يكون ذلك وارد بالنسبة للمكتبة الوطنية بالحامة .تلي ذلك الخطوة الأكثر صعوبة وهي مطالبة دول أوروبا بتراثها المنهوب .

-التعاون الثقافي المشترك في هذا المجال ، من خلال تكثيف التربصات واللقاءات العلمية .

-توحيد المصطلحات الخاصة بالمخطوط العربي.

-تبادل الخبرات .

-الهوامش :

(1)– مركز ودود للفهارس وكتب التحقيق :
http : // wadod.net/bookshelf/book/2107

(2)– عاينت ذلك بنفسي عند زيارتي للمكتبة منتصف شهر مارس 2012.

(3)– محمد بن عبد الهادي المنوني ، دور الكتب في ماضي المغرب .(تقديم : أحمد شوقي بنبين) . المطبعة والوراقة الوطنية الحي المحمدي ، مراكش ، 2005 ، ص.ص.17-24.

(4)– أحمد شوقي بنبين ، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي .المطبعة والوراقة الوطنية الحي المحمدي ، مراكش ، 2004 ، ص.47-51.

(5)–نفس المرجع ، ص.51.

(6)–محمد بن عبد الهادي المنوني ، منتخبات من نوادر المخطوطات . (تقديم : أحمد شوقي بنبين) . المطبعة والوراقة الوطنية الحي المحمدي ، مراكش ، 2004 ، ص.7.

(7)–باليوغرافية هو العلم الكتابات القديمة ، وباليوغرافي هو عالم المخطوطات .

(8)–نفس المرجع ، من ص.11 إلى ص.200.

(9)–أحمد شوقي بنبين ، المرجع السابق ، ص.52.

(10)– محمد عبد الله عنان ، وآخرون ، فهرس قسم التاريخ والرحلات والإجازات . جزآن . (اشراف ومراجعة : أحمد شوقي بنبين) . المطبعة الملكية ، الرباط ، 2000 ، 1253 صفحة.

(11)–المجاميع : والمجموع هو عدد من الأوراق أو الأجزاء أو الرسائل يضمها كتاب واحد وتخضع لفهرسة موحدة.

(12)–أحمد شوقي بنبين ، المرجع السابق ، ص.ص.52-53.

(13)–نفس المرجع ، ص.ص.53-54.

(14)–أراجيز : جمع أُرجوزة قصيدة من بحر الرَجَز .

(15)–محمد العربي الخطابي ، الفهرس الوصفي لمخطوطات الرياضيات والفلك وأحكام النجوم والجغرافيا .م3 .مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1983 ، 523 صفحة.

(16)–التسفير : هو التجليد في الاصطلاح المغربي .

(17)–محمد العربي الخطابي ، الفهرس الوصفي لمخطوطات المنطق وآداب البحث والموسيقى ونظم الدولة والفنون الحربية وجوامع العلوم . م4. مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1985، 237 صفحة .

(18)–محمد العربي الخطابي ، الفهرس الوصفي لمخطوطات الكيمياء وتعبير الرؤيا والعلوم الخفية .م5 .مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1986 ، 399 صفحة .

(19)–محمد العربي الخطابي ، الفهرس الوصفي لعلوم القرآن الكريم . م6 .مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1987 ، 479 صفحة .

(20)–أحمد شوقي بنبين ، المرجع السابق ، ص.ص.54-56.

(21)–محمد سعيد حنشي ، عبد العالي لمدبر، فهرس مخطوطات الأدب .(اشراف ومراجعة : أحمد شوقي بنبين) . جزآن .المطبعة الملكية ، الرباط ، 2001 ، 729 صفحة .

(22)–أحمد شوقي بنبين ، المرجع السابق ، ص.57.

(23)–محمد سعيد حنشي ، عبد العالي لمدبر ، فهرس مخطوطات البلاغة والعروض . (اشراف ومراجعة : أحمد شوقي بنبين) . المطبعة والوراقة الوطنية ، مراكش ، 2003 ، 248 صفحة .

(24)–خالد زهري ، مصطفى طوبي ، فهرس مخطوطات اللغة . (اشراف ومراجعة وتقديم : أحمد شوقي بنبين) .المطبعة والوراقة الوطنية ، مراكش ، 2003 ، 149 صفحة .

(25)–أحمد شوقي بنبين ، المرجع السابق ، ص.57.

(26)–خالد زهري ، مصطفى طوبي ، فهرس مخطوطات النحو والصرف .(اشراف ومراجعة وتقديم : أحمد شوقي بنبين) . المطبعة والوراقة الوطنية ، مراكش ، 2003 ، 555 صفحة .

(27)–أحمد شوقي بنبين ، فهرس مخطوطات التصوف . جزآن .المطبعة والوراقة الوطنية الداوديات ، مراكش ، 2010 ، 1053 صفحة .

(28)–محمد سعيد حنشي ، عبد العالي لمدبر ، فهرس الكتب المخطوطة في السيرة النبوية المحفوظة بالخزانة الحسنية .(اشراف ومراجعة : أحمد شوقي بنبين) .دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، الرباط ، 2010 ، 457 صفحة .

(29)–خالد زهري ، عبد المجيد بوكاري ، فهرس الكتب المخطوطة في الحكمة والمنطق وآداب البحث والمناظرة والوضع . (مراجعة وتقديم : أحمد شوقي بنبين) .دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، الرباط ، 2011 ، 259 صفحة .

(30)–الكنانيش : جمع كُناش ، وهو تقييد يسجل فيه صاحبه شؤونه الخاصة ، كالإشارة الى الكتب التي قرأها أو درسها أو ألفها أو الى بعض الأحداث التي لا يُعثر عليها في كتب التاريخ.

(31)–أحمد شوقي بنبين ، المرجع السابق ، ص.57.

(32)–محمد عبد الله عنان وآخرون ، المرجع السابق ، ص.ص.46-47.

(33)–نفس المرجع ، ص.604.

(34)–نفس المرجع ، ص.611.

(35)–نفس المرجع ، ص.641.

(36)–نفس المرجع ، ص.875.

(37)–نفس المرجع ، ص.ص.126-127.

(38)–نفس المرجع ، ص.329.

(39)–نفس المرجع ، ص.684.

(40)–نفس المرجع ، ص.340.

(41)–نفس المرجع ، ص.672.

(42)–نفس المرجع ، ص.920.

(43)–نفس المرجع ، ص.807.

(44)–نفس المرجع ، ص.1034.

(45)–نفس المرجع ، ص.1043.

(46)–نفس المرجع ، ص.1085.

(47)–نفس المرجع ، ص.1111.

(48)–محمد العربي الخطابي ، المرجع السابق ، ص.22.

(49)–نفس المرجع ، ص.38.

(50)–نفس المرجع ، ص.43.

(51)–نفس المرجع ، ص.149.

(52)–نفس المرجع ، ص.195.

(53)–خالد زهري ، عبد المجيد بوكاري ، المرجع السابق ، ص.14.

(54)–نفس المرجع ، ص.94.

(55)–نفس المرجع ، ص.174.